ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
**Rabab Ayad Yassin**
University of Qadisiyah/ College of Education
Email:
Arb.edu.post23@qu.edu.iq
**Prof. Dr. Abdullah Habib Kazem**
**University of Qadisiyah/ College of Education**
**EmaillL**
**Abdallah.kadhem@qu.edu.iq**

Key word: patterns, Religious , series, Clay and fire, Al Hamdan .

ARTICLE INFO

Article history:
Received 17May 2025
Accepted 3Jun 2025
Available online 1 Jul 2025

# Religious patterns in the Clay and Fire series

## Abstract

Because religion is an innate tendency in man, no one can be devoid of it, including the writer, as it governs his behavior, shapes his literary personality, and enriches his literary themes. Among the writers is the writer Ahmed Al Hamdan. In our research into the religious systems included in his novel series "Clay and Fire," we noticed a close connection between religion and literature, which appeared in five religious systems that carried political and social implications, including the system of Qur'anic intertextuality in its direct and indirect forms. The Quranic narrative as an implicit story or reference from which the writer derived his narrative event, such as the story of the Prophet Dhul-Nun (peace be upon him), and also Islamic religious rituals had a striking presence, such as prayer and healing with verses from the Holy Quran. Some atheistic ideas and opinions were presented and discussed rationally in a style that departs from the debates of contemporary religious philosophy. The mind, which atheists have used as a means to deny the existence of a Creator, the writer turned it into proof of the existence of the One God. After that, the writer did not neglect to point out the authority of the clergy in society and politics in a sarcastic manner, making these pretenders to religion and piety into talking mice seeking to serve their interests by exploiting the ignorance of the people and the stupidity of kings. This is some of what is revealed to us of the implications carried by the religious systems in the text under study.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4369

# الأنساق الدينية في سلسلة الطين والنار

الباحثة رباب أياد ياسين/ جامعة القادسية/ كلية التربية
أ.د. عبد الله حبيب كاظم/ جامعة القادسية/ كلية التربية

**الملخص:**
لأن الدين نزوع فطري عند الإنسان فلا يمكن أن يتجرد منه أحد بمن فيهم الأديب, إذ يحكم سلوكه ويكون شخصيته ويثري موضوعاته الأدبية, ومن هؤلاء الأدباء الكاتب أحمد آل حمدان, ففي بحثنا عن الأنساق الدينية التي تضمنتها سلسلته الروائية الطين والنار لاحظنا وثيق الصلة بين الدين والأدب, التي ظهرت في خمسة أنساق دينية حملت مضمرات سياسية واجتماعية, منها نسق التناص القرآني بشكليه المباشر وغير المباشر، والقص القرآني كقصة ضمنية أو مرجع استمد منه الكاتب حدثه الروائي كما قصة النبي ذو النون(عليه السلام)، وكذا الطقس الديني الإسلامي الذي مثّل حضوراً لافتاً كالصلاة والتداوي بأيّ القرآن الكريم. ورد بعض الأفكار والآراء الإلحادية ومناقشتها عقلياً وبأسلوب يبتعد عن جدل الفلسفة الدينية المعاصرة، فالعقل الذي اتخذه الملاحدة وسيلة لإنكار وجود خالق جعل منه الكاتب برهان على وجود الله الواحد. ولم يغفل الكاتب التنبيه على سلطة رجال الدين في المجتمع والسياسة بأسلوب ساخر جاعلاً من هؤلاء مدعي الدين والتدين فئران ناطقة تسعى لخدمة مصالحها مستغلة جهل الشعوب وبلاهة الملوك، هذا بعض ما تكشف لنا من مضمرات حملتها الأنساق الدينية في المتن محل الدراسة .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

**الكلمات المفتاحية:** ( الأنساق, الدينية , الطين والنار, سلسلة, آل حمدان )

**المقدمة :**

الحمد لله نحمده ونستعينه ونتوكل عليه، والصلاة والسلام على سيد العالمين وخاتم المرسلين أبا الزهراء محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين المنتجبين وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد... في هذا الطرح نحاول تسليط الضوء على الأنساق الدينية التي اشتملت عليها سلسلة الطين والنار للروائي أحمد آل حمدان مدفوعين بالرغبة في الكشف عمّا حملته من مضمرات ودلالات, هادفين إلى تكوين فهم وزيادة إدراك لمضمرات هذا النسق الديني مستعينين ببعض الكتب التي ساعدتنا على كشف بعض المبهمات ومنها كتاب الدين والبناء الاجتماعي لنبيل محمد توفيق وكتاب الدين في حدود مجرد العقل لإيمانويل كانط والإبانة الكبرى لأبن بطة وتاريخ التمدن الإسلامي لجرجي زيدان وغيرها. حيث أسفر هذا البحث عن خمسة أنساق دينية حملها الكاتب مضمرات سياسية، اجتماعية ، دينية ، حاول فيها رصد بعض القضايا مثل قضية الفكر الإلحادي التي أصبحت تمثل ظاهرة في العالم اليوم ولاسيما العالم العربي، وكذا حاول رصد قضية تسيّس الدين عندما تناول رجال السياسة مدعي الدين والتدين بأسلوب ساخر هازئ يضمر الهزئ بالمنظومة الدينية المسيسة ولاسيما في عالمنا العربي، وكذا أظهر النص الثقافة الدينية الإسلامية

للكاتب عندما تضمن تناصاً قرآنياً وقصصاً قرآنياً وطقوساً دينية إسلامية, كل هذا كان حاملاً لمضمرات نسقية أراد لها الكاتب أن تعالج أو ترصد.

وفي الختام أتقدم بخالص الشكر والعرفان لأستاذي الدكتور عبد الله حبيب التميمي الذي لم يدخر وقته وجهده ليمدني بالعون والمساعدة التي أغنتني عن طلبها من غيره وأعانتني على إنضاج ما في ذهني من أفكار فله مني كثير الشكر وجزيل الامتنان .

**مدخل- الأنساق الدينية :**

وجد الدين مع وجود الإنسان فهو نزوع فطري فيه للبحث عن علة الوجود. ولذا لم يخلُ أي مجتمع من فكر ديني وعقيدة دينية تتناسب مع بيئته المحيطة ومما يدل ويثبت النزوع الديني الفطري عند الإنسان قول الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات/ 56], إلا أن هناك من حاول إنكار وَرّدْ فطرية النزوع الديني عند الإنسان وهم الماركسيون الذين يرون أن البشرية عاشت فترة من الزمن بلا دين أو نظام ديني [السمالوطي, د.ت,33/2]، ولكن((**إذا كانت البشرية قد بدأت بآدم عليه السلام فقد كان آدم نبياً يعبد الله سبحانه**)) [السمالوطي, د.ت,33-34]، ولذا فإن من البديهي أن نقول ((**منذ آدم عليه السلام وحتى اليوم لم يختفى الشعور الديني عن الإنسان أو عن أي مجتمع**)) [السمالوطي, د.ت, 34/2] .

فالدين بدأ ديناً سماوياً توحيدياً فطرياً ثم خرج عن الفطرة التوحيدية إلى أشكال ديانات مختلفة تتخذ من الطوطم أو مظاهر الطبيعة الكونية آلهة ومعبودات تعبدها، ومع تعدد الديانات والعقائد تعدد واختلف مفهوم الدين حتى صار له تعريفات كثيرة يصعب جمعها في مفهوم واحد, إلا أنها جميعاً تكون حالة بين طرفين ((طرف أعلى وطرف أدنى والدين هو حالة الطرف الأدنى الذي هو محتاج للطرف الأعلى)), [الطائي ويسر, 2025م: 897], فمثلاً دي لاجراسون يرى ((**أن الدين هو إرتباط جماعة إنسانية بإله أو بآلهة وكل ديانة تجمع بين معتنقي الديانة الأحياء والأموات وآلهتهم في مجتمع واحد يعد جزءاً لا ينفصل عن الكون الطبيعي**)) [السمالوطي, د.ت,23/2-24] ، ولكن هناك من الديانات من لا ترتكز على فكرة وجود إله مثل "البوذية" وإنما الأخلاق ركيزتها الأساسية [السمالوطي, د.ت,2/ 26].

وأيً كانت الفكرة التي يرتكز عليها مفهوم الدين إلا أنه يبقى يمثل أساس الوجود الإنساني ويبقى المحور الذي يدور حوله سؤال الوجود والكون وتبقى العقائد والعبادات هما الجانبان الأساسيان المكونان لأي دين ، كما ترى المدرسة الفرنسية في علم الاجتماع [السمالوطي, د.ت,26/2] ، ويبقى العامل الديني هو المحرك لسلوكيات الإنسان فالدين هو الفيصل بين الإنسان ومجتمعه بمن فيهم الأديب . فالأديب يتواصل مع مجتمعه بحكم ما يمليه عليه معتقده الديني الذي يطرحه في النص الأدبي الذي ينتجه، إذ إن علاقة الدين بالأدب علاقة وثيقة تظهر عندما يمد الدين الأدب بموضوعاته الكثيرة وتبلغ وثاقة هذه العلاقة للحد الذي

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

يصـــعب معها فصـــل الدين عن الأدب، فمنذ القدم كانت نصـــوص الأدب تعكس الاعتقاد الديني مثل الإلياذة والأوديسا وقصص ألف ليلة وليلة وغيرها, وهذه العلاقة مستمرة حتى عصرنا الحاضر[ مجلة دعوة الحق, ع49].

في هذا المتن الروائي نلاحظ وضـوح العلاقة بين الدين والأدب وأيضـاً الحضـور اللافت لشـخصـية الكاتب الدينية ومعتقده الديني من خلال أنساق دينية كثيرة ظهرت على النحو الآتي:

1- **التناص القرآني:**

لا يخفى أن الكاتب آل حمدان يدين بدين الإسلام وعاش في مجتمع إسلامي لذا ليس من الغريب أن نجد أثراً للقرآن الكريم في نصه مثل إيراده لآيات القرآن بأسلوب التناص ، تناصاً مباشراً حين يضمن نصه آيات من القرآن الكريم أو تناصـاً غير مباشـر حين ضـمن سـرده مفردات ومعاني قرآنية , وإذا بحثنا عن التناص القرآني في هذه المجموعة وجدناه من الكثرة التي معها يتعذر إهمال البحث فيه إذ أنه مثل حضـــوراً لافتاً بالأسلوبين معاً المباشر وغير المباشر, ومنها قول الكاتب واصفاً أحد مزامير آل سليمان((**كان عبارة عن قصبة جوفاء مفتوحة الطرفين نقش على سطحها الخشبي عبارة غريبة تقول إنه من سُليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم**)) [آل حمدان, السـجيل, 2024م, 84] . جاء التناص مباشـراً من سـورة النمل إلا أنّ الكاتب قرن هذا التناص بميثولوجيا توراتية تقول إنّ لآل سليمان ثمانية عشر مزموراً, وكأنّ الكاتب عمل شبه خلط أو دمج بين فكرين دينين الأول أقتبسـه من القرآن الكريم والفكر الإسـلامي والثاني أسـتوحاه من الميثولوجيا التوراتية مســـتعيناً بخياله الأدبي حيث أزاح معنى المزمور من كونه مخطوطاً دينياً إلى كونه تلك الأداة التي تستعمل لتضخيم الصوت، وقد يفهم من هذا أن الكاتب لوح بالأصل الديني المشترك بين الديانتين اليهودية والإسلامية.

الحضـور الثاني للنص القرآني هو الحضـور غير المباشـر، فهو يظهر حضـور النص القرآني في ذهن الكاتب وثقافته وبشكل واضح حيث يقول على لسان أيوب ((- **قاتلوا بكل قوتكم ولا تهابوا الموت ؛ من يمت في سبيل أرضه يبقى حياً في السماء!!**)) [آل حمدان, الجساسة, 2023م, 9] هذا دال على ربط الغاية من الدفاع عن الأرض بالهدف الديني الأسـمى إلا وهو الشـهادة ويعود بناء إلى الآية الكريمة ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران/169]، وهذا ما قد يبدي نسـقاً دينياً ظاهراً بمضـمر سـياسـي فقتال أيوب ورفاقه لجيش طاغين الطامع بأرضـهم هو مضـمر لدفاع الشـعوب ولاسـيما الشـعوب الإسـلامية عن أوطانهم وأرضـهم بدافع ديني عقيدي إلا أن التناص القرآني الأكثر حضـوراً في هذا المتن هو التناص مع الآية الكريمة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[البقرة/186], هذه الآية الكريمة كانت المرتكز القرآني الرئيس الذي ارتكزت عليه كثير من نصـــوص هذه المجموعة، إذ وردت في كثير من المواطن محملة بالدلالات الســـياســـية,

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فـــــــ(عاصف)مثلاً حين صور محاولة الابن في إعادة أمه للحياة بالدعاء فقط، تبيّن له بعد أنْ استعاد ذاكرته المفقودة لمّا عادت أمه للحياة, أنّ سبيله الوحيد كان هو الدعاء, إذ يقول: ((**وبينما هو في تلك الحالة البائسة إذ تذكر أمراً ما جعله يقفز من مكانه ويهتف كالمجنون:**

**- أستطيع أنْ أعيد أمي للحياة !!**

**لقد تذكر تلك الجملة التي كانت والدته تقولها له دائماً ... كان يغمض، عينيه عند سماعها ويحلل في عقله كل كلماتها تحليلاً دقيقاً . تذكر طوال عمرك يا بني أنّ الرب يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه ثم فكر عقله بهذه الطريقة :**

**إذا كان الرب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه مثل ما كانت أمي دائماً تقول؛ فإنّا أستطيع أنْ أعيدها للحياة مجدداً لو أني دعوت الرب وطلبت منه ذلك**))[آل حمدان, أبابيل, 2021م, 177].

قد يكون الكاتب هنا أضمر فكرة تقول أنه لا يمكن للأرض أن تسترجع ولا يمكن أن تتنفس في الأوطان الحياة بمجرد الدعاء والإبتهال إلى الله وإنّما بالأخذ بالأسباب فحين يكتب ((**كان يغمض عينيه عند سماعها ويحلل في عقله كل كلماتها تحليلاً دقيقاً**)) [آل حمدان, أبابيل, 2021م, 177]، نلتمس هنا دعوة غير مباشرة من الكاتب إلى تدبر معنى هذه الآية من منظور الواقع السياسي وقدم برهاناً ومصداقاً لهذه الفكرة عندما جعل استجابة الدعاء بعد حين من الزمن على هيئة مولودة جديدة فيقول ((**لقد استجاب الرب دعائي – تمتم – لقد أعاد لي أمي حية عندما استنشق راحة ابنته العابقة برائحة الياسمين وشاهد لون بريق عينيها البندقيني اللون شعر بأنه يحمل أمه جومانا بين يديه وفهم أخيراً درسه الأخير وهو أن الرب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه مثل ما كانت والدته تقول ولكنه يجيبها في التوقيت والكيفية التي يراها مناسبة بعلمه وحكمته ... كان طوال مغامرته يحميه ويصد عنه الأخطار ويكتب له الحياة في كل لحظة موت وشيكة...**)) [آل حمدان, أبابيل, 2021م, 400-401]، وهكذا يكون الكاتب جعل من النص القرآني نقطة إنطلاق الحدث والنور الذي يضيء سرده، إذ أنّ الإنتماء الديني والعقيدي للكاتب تجلى فيه بشكل واضح .

**2- القص القرآني :**

تكثر في النص القرآني القصص التي تروي قصص الأنبياء والأمم البائدة, يقول تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء/164]، حيث أن الله سبحانه وتعالى استعمل فن القصة لتقديم أخبار الأمم السالفة ولكن بأسلوب ينفرد فيه النص القرآني وحده يعتمد العمومية والإيجاز. وفي هذا دلائل كثيرة لا يسع المقام لذكرها إلا أننا سنعمل على البحث فيما ورد منها في المتن الروائي محل الدراسة .

النص الروائي الذي بين أيدينا أُثريَ بقصص الأمم السالفة وعلى وجه التحديد قصص أنبياء بني إسرائيل مثل قصة سليمان النبي والنملة وقصة النبي يونس صاحب الحوت عليهم وعلى نبينا السلام, ولكن

اللافت في الشحن القصصي هذا أنّ الكاتب كان ينطلق من عقيدة دينية إسلامية ومن نص قرآني فمصدر القص عنده هو القرآن وليس الميثولوجيا أو الأيديولوجيا, ونستدل على ذلك أنّ الكاتب نعت هؤلاء الأنبياء بصفة النبوة فقال في قصة النبي سليمان (عليه السلام) على لسان إحدى شخصيات الجن ((**كانوا جميعهم يسيرون خلف رجل واحد أسمه النبي سليمان... كان ذلك الجيش الكبير يعبر من خلال وادٍ ضخم أسمه وادي النمل فصاحت آنذاك نملة صغيرة أسمها جرسا... تخاطب بقية أفراد النمل قائلة** ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ...)) [آل حمدان, أبابيل, 2021م, 43-44] .

هذا النص جاء قصة ضمنية في الرواية مقتبسة من النص القرآني, ويستدل على ذلك من أقواس التنصيص التي احتوت النص القرآني: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَايَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل/18], إلا أنّ الكاتب قد أدخل عليها شيء من الخصوصية الأدبية السردية فأعاد صياغتها صياغة أدبية محاولاً تخليصها من عموميات النص القرآني بإلزامها بعض الخصوصيات مثل تسمية النملة فأطلق عليها أسم جرساً –[ ينقل العلامة المجلسي في كتابه بحار الأنوار أنّ أسم النملة كان طاغية وقيل خرمى, مج61، 246]- وبذلك يكون الخبر قرآني بأسلوب أدبي سردي .

والتوظيف الثاني للقصص القرآني لم يشكل قصة ضمنية داخل الحدث الروائي, وإنما جاء كحدث فنتازي مستوحى من قصص قرآني وكأن الأثر القرآني أصبح مادة أولية للحدث الروائي مثل قصة النبي "ذو النون" (عليه السلام) التي جعلها الكاتب مادة خام لصنع الحدث الروائي, فإبحار الأصدقاء في بحر ذو النون وإنتقالهم إلى مملكة أغاريب بوساطة جوف الحوت ما هو إلا توظيف غير مباشر للقص القرآني, إذ يكتب في هذا ((-**إن ذلك البحر هو ذاته البحر الذي مكث فيه نبي الرب يونس ببطن الحوت لمدة أربعين يوماً**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 128] , ثم لم يكتفِ بهذه الإشارة وإنما جعل يسقط هذا الحدث القرآني على شخصياته بأدق تفصيلاته مثل وصف الظلمات والتسبيحات, والكيفية التي حاكت بها هذه الشخصيات تلك التسبيحات, وفي كلّ هذا ينطلق من النص القرآني فيقول ((**راح كلّ واحد من الأصدقاء – بينه وبين نفسه – وبدافع الفضول يردد تلك التسابيح الإلهية .. صحيح أنهم لم يفهموا معناها الدقيق لكنهم أحسوا براحة عميقة وهم يرددونها سراً**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 147] يفهم من هذا أنّ مرجع الحدث الروائي هذا هو القص القرآني ولاسيما الآية الكريمة ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[ الأنبياء/ 87-88] .

وبذا يكون حضور النص القرآني في هذا العمل حضوراً لافتاً, فمرة جعل منه الكاتب مادة أولية للحدث الروائي, ومرة ضمنه كقص ضمني, وهذا يظهر أثر النص القرآني في ثقافة وذهنية الكاتب, إلا أنّ القص

القرآني لم يكن المصـــدر الثقافي والديني الوحيد الذي تمثله الكاتب وإنما كان القص الديني بشـــكل عام يمثل مرجعاً له سواء كان هذا القص قرآنياً أم قصـاً إخبارياً فكما ضمن هذا العمل قصـاً قرآنياً ضـمنه قصـاً موروثاً مثل قصة ملك الموت مع وزير النبي سليمان(ع) حين جاء لمجلس النبي متجسداً بهيئة رجل فسأل الوزير بعد مغادرته ((-**من يكون ذلك الرجل يا نبي الله ؟! لأنه كان ينظر إلي بطريقة ملأت قلبي خوفاً وجزعاً فمن يكون بالله عليك؟! أجابه النبي :**

- **هذا ملاك الموت ، وقد جاء متجسداً بهيئة رجل ... فقال الوزير مذعوراً .**

- **أســـألك الله يا نبي الله أن تأمر الرياح فتنقلني لبلاد الهند** ...)) [آل حمدان, جومانا, 2023م, 95-96]. هذه القصة من قصص الموروث الديني لكنها لم ترد في القرآن, ولم ترو عن نبي, وإنما جاء ذكرها في المصنفات الدينية، وبهذا نصل إلى فهم يرى أنّ القصص الضمنية التي احتواها العمل الروائي هذا كانت أما قصصاً قرآنياً أو قصصاً إخبارياً, قد يكون صحيحاً أو مشكوكاً فيه, لكن المشترك فيها أنّها جاءت على لسان الجن, وقد يرجع هذا إلى صلة النبي سليمان المعروفة بمخلوقات الجن .

**3- الطقوس الدينية :**

لا يتجرد أي مجتمع من اعتقاد ديني كما لا يتجرد أي اعتقاد من أعراف وطقوس دينية تمارس بهدف الوصـــول إلى الارتباط النفســـي والروحي بالمعبودات, وهكذا فأنّ الدين بمفهوم علماء الاجتماع ظاهرة اجتماعية لها جانبان الأول النفسي والثاني الموضوعي الذي يشتمل على العبادات والشعائر والطقوس التي تمارس [السمالوطي, د.ت,19/2]، ونحن هنا في هذا النسق نبحث عن الجانب الموضوعي من الدين والذي تمثل بعبادات وطقوس دينية إسلامية على وجه الخصوص ظهرت في النص الروائي هذا .

ورغم أنّ هذا النص فنتازي ينتمي إلى عوالم أسطورية متخيلة إلا أنّ الطقس الديني الإسلامي وجد له سبيلاً عبر ثقافة الكاتب ومن هذه الطقوس الدينية التي حملها النص هو طقس الصـــلاة، حيث نجد له في هذا النص أثراً عندما يكتب الكاتب, بقوله: ((**فرفع رأسه ينظر نحو السماء الواسعة من فوق وأخذ يطيل النظر إليها وكأنه يفتش فيها عن ثقب صـــغير يســـتطيع أن ينظر من خلاله إلى وجه الرب .. وعندما لم يجد في السماء ذلك الثقب فإنه جثا على ركبتيه وسجد واضعاً جبينه فوق التراب كما لو أن فطرته أنبأته أن تلك الطريقة هي الأسمى للوصول إلى الرب في عليائه ...**)) [آل حمدان, الجساسة, 2023م, 115]، هذا النص المجتزئ من رواية الجساسة يحمل في طياته دالين نسقيين الأول هو التناص القرآني غير المباشر مع الآية الكريمة ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾[الملك/3-4]، والتي تقترب كثيراً من معنى الآية الكريمة من سورة ق ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾[ق/9], وهو ما يمثل ثقافة قرآنية.

ثم تبعه بمضمر آخر هو السجود الفطري للإنسان في قوله ((**جثا على ركبتيه وسجد واضعاً جبينه فوق التراب**)) [آل حمدان, الجساسة, 2023م, 115], وكأنّ الكاتب قد جعل من معجزة كمال خلق السماوات والأرض عن طريق إيرادها كتناص قرآني غير مباشر دعوة لتدبر خلق الله, وكأنّه أراد أنْ يقول إنّ هاتين المعجزتين كافيتين لتقودان الإنسان إلى دين حق وعبادة سليمة. ولعل عبارة ((**واضعاً جبينه فوق التراب**)) [آل حمدان, الجساسة, 2023م, 115] تحمل مؤشراً مذهبياً أراده الكاتب والله أعلم .

والطقس الثاني الذي أورده الكاتب هو التداوي بآيات القرآن الكريم, وممّا لا يخفى أنّ التداوي بالرقي والعزائم والتعاويذ من الممارسات الطبية القديمة التي يمارسها الكهان ، فالكاهن قديماً كان يقصد لغرض التداوي وطلب الشفاء فيعمل على علاج مرضاه بطقوس شفائية خاصة أهمها الرقي والتعاويذ فالعرب قديماً كانوا يعتقدون في الكاهن القدرة على كل الأشياء ولهذا كانوا يستطبونه [زيدان,1958م, 19/3] ، فالكاهن ((**كان إذا سار لمعالجة مريض صحبه خادمان أحدهما يحمل كتاب العزائم والثاني يحمل صندوق العقاقير الطبية**)) [زيدان,1958م, 19/3]. وبقي هذا الطقس الديني الشفائي يمارس بطرق وأساليب تختلف بإختلاف الديانة فمثلاً في الدين الإسلامي اتخذت طقوس التداوي شكلاً جديداً تعتمد آيات القرآن الكريم إنطلاقاً من الآية ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[ الشعراء/80] إلا أن هذا لا يفهم على أن الدين الإسلامي أهمل الأخذ بالأسباب والعلل ولكن بقي التشافي بالقرآن يمثل اعتقاداً ثابتاً، وفي هذا النص نجد أثراً لواحد من أهم طقوس الشفاء في الديانة الإسلامية إلا وهو التداوي بآيات القرآن الكريم المكتوبة بأقلام الزعفران حيث يصف الكاتب الطريقة التي استعملها الحكيم في علاج الطفل ابن جومانا بعد أن أتت به تاج له فيقول ((**جلب الحكيم ربطة أعشاب مقوية وأخرج من أحد الجوارير ورقة صفراء صغيرة الحجم مطوية كان مكتوباً عليها بالزعفران وبخط دقيق جداً بعض الآيات التي جاء ذكرها في أحد الكتب السماوية** ...)) [آل حمدان, أبابيل, 2021م, 128] .

رغم أن الكاتب لم يصرح بأن الآيات المقصودة هي آيات قرآنية لكن الدلالة واضحة فإذا بحثنا في البعد الديني لهذا النص وجدناه يعكس أثراً وعرفاً دينياً إسلامياً، فالتداوي بآيات القرآن الكريم بعد كتابتها بالزعفران يُعد عرفاً دينياً وطقساً شفائياً معروفاً, إلا أنّ من يبحث عن البعد السياسي الذي أضمره هذا النص بعد ربطه بجملة الحدث السردي, يصل إلى مضمر سياسي يدل على أنّ أول من يستعين بهم سياسي السلطة, ولاسيما السلطة الشرقية على تحقيق أهدافهم ومصالحهم, هم نخبة رجال الدين والمجتمع والتي تمثلت بشخصية الحكيم ويستدل على هذا من وصف الشخصية, قوله: ((**رجلاً طويلاً في أواخر الأربعينات من عمره جسده نحيل مثل ساق قصب سكر وشعره المنفوش يجعل منظره العام أشبه بمكنسة أوساخ .. لديه لحية تشبه لحية عنز فحل وكان شاربه الحليق هو الأمر الذي أكسب أنفه بروزاً مبالغاً به...**)) [آل حمدان, أبابيل,

2021م, 90]، إذ كثيراً ما تكون اللحى وسن الأربعين دالاً على رجل الدين، ونلتمس من هذا الوصف حساً هازئاً بهذه الفئة من المجتمع.

**4- نسق التساؤلات حول الدين :**

يقول كانط ((**الإيمان الديني المحظ يتأسس تأسساً كاملاً على العقل**))[ كانط, 2012م, 193], ولهذا يعتبر العقل والتفكير العقلي هو الطريق الأسمى للوصول إلى دين مقبول أو اللادين، وفي الفكر الفلسفي تتخذه غالبية الاتجاهات الدينية وسيلة إقناع ومنها الإتجاه الإلحادي الذي جعل من التفكير المنطقي العقلي أداة للإجابة عن كثير من التساؤلات الدينية والوصول إلى فكر إلحادي يُرْجِع وجود هذا الكون إلى مبدأ الصدفة، ولذلك طرح آل حمدان في عمله هذا مجموعة من التساؤلات التي اتخذت من الفكر الإلحادي منطلقاً لها.

ومنها الأسئلة التي تتعلق بحقيقة وجود خالق وعن مصير الخلق بعد الموت وعن حقيقة وجود النعيم والجحيم ... الخ، ثم أراد أن يقدم إجابات عن هذه الأسئلة ترتكز على منطق العقل أيضاً، فالعقل الذي جعله الملاحدة وسيلة لإنكار وجود خالق أتخذه الكاتب برهان لوجود الله .

ومن جملة الأسئلة التي طرحها الكاتب ((**هل تؤمن بالرب والجحيم والجنة كما يقول الرهبان ؟ هل تؤمن بأن هناك رباً ؟ أليس لديك ما تعتقده فيما يتعلق ببعد الموت ؟**))[آل حمدان, جومانا, 2023م, 132-133] يتم طرح تساؤلاً آخر بمنطق الملاحدة نفسه ، وكأن الخطاب كان موجهاً منهم وإليهم فيقول فيه **((- إن لم يكن هناك رب فكيف تفسرون وجود هذا العالم ؟!**

**- إنها الصدفة ولا شيء غيرها .**

**كان الشمالي في أحد تأملاته القديمة قد طرح على نفسه هذا السؤال : ماذا لو كانت الصدفة هي سبب الوجود ما الذي يجعلني أوغل في الاعتقاد بأن الرب هو من أوجد هذا العالم؟!**))[آل حمدان, الجساسة, 2023م, 243].

هذا النص يشبه حواراً فلسفياً بين فكرين دينيين وعقليين مختلفين الأول هو عقل الملحد والثاني عقل المؤمن، فالأثنين انطلقا من فكر وتفكير عقلي إلا أن الأول توصل إلى رؤية تقول بصدفة الخلق لأنه اعتمد في تفكيره على الماديات الكونية والثاني وصل إلى حقيقة مختلفة إلا وهي وحدانية الخالق، فالشمالي الذي مثل العقل السوي لم يكن يؤمن بصدفة الخلق كما لم يكن يقتنع بعبادة الآلهة المصنوعة من أصنام وتماثيل, ويرى أنّ فكرة أفول الشمس أسخف من أنْ تُتَخذ الشمس معها إله، كما لم تكن فكرة صدفة الخلق مقنعة لعقله ولهذا يقول في سبب تخليه عن عبادة أهل قريته ((**لأنني احترم العقل**)) [آل حمدان, أبابيل,2021م, 249], وكأنّ النص أضمر فكرة ترى أنّ الإنسان يستطيع بعقله فقط أنْ يتوصل إلى حقيقة وجود خالق لكن بشريطة أن يكون هذا العقل سوياً غير معلول والتفكير فيه منطقياً حيث يقول ((**مع الوقت توقف عن محاولاته وأصبح يتأمل في الطبيعة محاولاً أن يعثر باستخدام عقله فقط على الرب الذي خلقه وخلق كل الأشياء من حوله ؛**

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

**فقد كان الشمالي يعتقد في قرارة نفسه بأنه لم يأت إلى الأرض عن طريق المصادفة وبأنه لم يُخلق في هذا العالم عبثاً**)) [آل حمدان, أبابيل,2021م, 249].

بعدها يورد قصة ضمنية يضمر فيها بعض السخرية من العقل الإلحادي سميت بالقصة الخرافية للعربة المذهبة يقول فيها ((- **ذات مرة أردت الانتقال من القرية التي كنت أقيم فيها لقرية أخرى بعيدة جداً . ولكن للأسف لم أكن أملك حينذاك وسيلة للسفر ثم فجأة ومن اللاشيء ظهرت عربة مذهبة في السماء يجرها زوج من الخيول المجنحة وهبطت أمامي ...**

**- فتح لي أحدهم باب العربة المذهبة وقال : أصعد سوف ننقلك للقرية البعيدة التي ترغب بالذهاب إليها ... فصعدت للعربة المذهبة وهكذا انتقلت لتلك القرية بكل سهولة .**

**- قال أوس باستهانة :**

**- أتطلب مني أن أصدق هذه القصة الخرافية ؟!**

**- ولم لا تصدقها ؟!... إن الذي يُصدق أن هذا العالم المذهل الباهر الجميل قد وجد بالصدفة لن يكون من الصعب عليه أن يصدق القصة الخرافية للعربة المذهبة..**))[آل حمدان, الجساسة, 2023م, 244].

بذلك يكون الكاتب قدم الإستفهامات التي تطرحها الفلسفة الدينية ثم أجاب عليها بأسلوب قصصي مبسط بعيد عن جدل النظريات الدينية المعقدة فهو جعل من يعتقد بصدفة الخلق كمن يعتقد بحقيقة الخرافات والأساطير ويبدو لي أنّ هذه التساؤلات التي طرحت تنطلق من التحديات الدينية والأفكار الإلحادية التي تهدد الفكر الديني في العالم اليوم ولاسيما المجتمعات العربية .

**5- السخرية الدينية :**

يصعب على القارئ تحديد حدود السخرية الدينية إذ تداخلت كثيراً مع السخرية السياسية والاجتماعية، وقد يعود هذا التداخل إلى طبيعة التداخل الديني في جميع قضايا الحياة السياسية والاجتماعية منها؛ ولهذا كان الكاتب ينقد بعض قضايا السياسة والاجتماع بأسلوب ساخر لا يبتعد عن إضمار الهزئ بالمنظومة الدينية ، هذه المنظومة التي تمثلت بشخصية الحكيم التي تظهر دور رجل السياسة مدعي الدين تحت صفة (المبعوث المعجزة) فأر ناطق ينقل تعاليم الرب ليطهرهم من الذنوب والمعاصي, وبالمقابل يأخذ مبايعاتهم لنصرته في حرب شياطين الأرض–على حد زعمه– فيبدأ الكاتب بسرد الحدث الساخر((**إنه العيد السنوي لممالك محيط الشمال، في ذلك اليوم جلس الملوك والأمراء في المقاعد الأمامية ومن خلفهم جماعة من نبلاء الشعب- رجالاً ونساء– ينتظرون خروج المبعوث المعجزة من داخل الخيمة العظيمة ليُلقنهم تعاليم الرب التي ستخلِّصهم من الذنوب والمعاصي بحسب اعتقادهم وتضمن لكلِّ واحد منهم مقعداً في الجنة ... وقف المبعوث المعجزة أمام المرآة بقامته القصيرة التي لا تتجاوز الشبر، وأخذ يتأمل نفسه ليتأكد من تمام جاهزيته قبل لقائه بالحشود المنتظرة في الخارج ...**

**- لماذا لا تريد أن تخبرني عن الذي تخطط له ؟! ...**

**- أريد أن أنقل إليهم تعاليم الرب يا أختاه ....**

**- يعجبني فيك أنك تكذب الكذبة وتصدقها أيها الحكيم ...**

**- شششششش ... أخفظي صوتك يا برقاء ؛ فإن عرف ملوك وأمراء محيط الشمال بأننا نكذب عليهم فإنهم لن يتأخروا بطبخنا على عشائهم هذه الليلة**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 99-100].

هذا النص المقتطع من رواية السجيل قد يمثل نقداً ساخراً تهكمياً لرجال الدين ومن هم تحت تأثير أفكارهم وكلماتهم وغاياتهم وآرائهم من ملوك ووزراء وأمراء وشعوب فتصوير رجل الدين بهذا الشكل ((**فأر ناطق – كل ما فيه قصير لكنه يتمتع بلسان طويل ولحية تُشبه لحية عنز فحل**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 100]، قد يحمل مضمراً ساخراً هاجياً لرجال الدين فما هم إلى حيوانات لا تجيد إلا محبك الكلام وطول اللحى بل ليس أي حيوان وإنما-فئران– أقذر وأقبح وأحقر الحيوانات. وقد يكون القصر ((**كلّ ما فيه قصير**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 100] دالاً على ضحالة الفكر والفعل, فمن المعروف عند العربي إذا أراد أنْ يهجو الآخر صوره بصورة القزم الذي لا يطول شيء.

وقد تكون هذه السخرية غير مقتصرة على رجال الدين بل قد تتعدى إلى الشعوب والحكومات حين يقول ((**الرجل الذي اقتحم عليهم الخيمة قال وهو ينظر إلى الحكيم كاشفاً عن سبب الدهشة التي أكتست بها ملامحه:**

**- نور الإيمان يسطع من وجهك أيها المبعوث المعجزة**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 105] ثم تنبهنا إلى دلالة الخيمة العظيمة والتي توحي بالإجلال والإكبار والتعظيم لهؤلاء الفئران مدعي الدين والتدين من الملوك والحكام أولاً وهذا ما توحي به جمله ((**جلس الملوك والأمراء في المقاعد الأمامية ومن خلفهم جماعة من نبلاء الشعب**))[آل حمدان, السجيل,2024م, 99], إذاً أول من عظم وقدس هؤلاء الفئران, هم الأمراء والملوك وتبعهم بذلك الشعب.

ولا يتوقف هذا الهجاء والسخرية على الملوك والشعوب المنساقة خلف مدعي الدين بل يتعدى إلى جنس الإناث إذا أخذنا بالنظر جواب برقاء حينما سألها المبعوث المعجزة التخلص من ثيابها لأنها من عمل الشياطين الخبيثة وتتبارك كما النساء الأخريات حينما قال لهن ((**أيتها النساااااء !!! ...**

**- كانت الشياطين الخبيثة أول من اخترع الأقمشة وأول من حاكها وجعل منها فساتين وألبسة ...**

**- فأنزعت هذه الأقمشة عنكن وتخلصوا من عمل الشيطان !!**)) [آل حمدان, السجيل, 2024م, 112] هنا نلتمس سخرية وهزءاً بعقول بعض النساء اللائي يعطلن عقولهن أو يؤجرنها لمن هب ودب بدافع الدين إلا أن الأمر لم يخلُ من استثناء مثلته جملة برقاء, بعد أنْ ابتسمت ساخرة وقالت ((**أنا لا أؤجر عقلي لأحد**))

[آل حمدان, السجيل, 2024م, 114] , وبذلك نتوصل إلى فهم يقول إنّ بهذا التقديم الساخر للحدث, كأنّ الكاتب أضمر رأياً, بأن كل المشكلات السياسية والإنحرافات الاجتماعية والاخلاقية ترتكز على فساد الدين ورجاله, فهم المنبع الفاسد والأصل الذي يصب في السياسة والاجتماع والأخلاق, يساعدهم في ذلك سذاجة الشعوب وبلاهتها وحماقة ملوكهم, وهذا ما يعبر عن نسق ديني ولكن من منظار اجتماعي سياسي .

**الخاتمة:**

في بحثنا عن الأنساق الدينية لسلسلة الطين والنار للكاتب أحمد آل حمدان، محاولين الوصول إلى ما تحمله من مضمرات ودلالات خرجنا بخمسة أنساق (التناص القرآني، القص القرآني، الطقوس الدينية، التساؤلات الدينية، السخرية الدينية) حملت مضمرات دينية واجتماعية وسياسية, وأظهرت البعد الثقافي والديني في ذهنية الكاتب ومجتمعه ورصدت وناقشت بعض الطقوس والظواهر الفكرية والدينية في المجتمع مثل طقس التداوي بآيات القرآن الكريم وظاهرة الفكر الإلحادي الذي أصبح يمثل تحدياً وتهديداً للفكر الديني في المنطقة, وكذلك ناقشت بأسلوب الساخر ظاهرة تسيس الدين وجعله خادماً لمصالح السياسة والسياسيين, كل هذا لم يخرج به الكاتب عن الخصوصية الأدبية فقد مزج الكاتب بين الأسلوب الأدبي والظاهرة النسقية التي تناولها بالرصد والمعالجة, فحين ضمن حدثه قصاً قرآنياً لم يهمل القالب الأدبي الذي وضعت فيه .

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

**مصادر البحث:**

***القرآن الكريم.**

1- الأصفهاني (ت 430هـ), حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، مكتبة الخانجي ، ج4, د.ط، 1996م.
2- آل حمدان, أحمد ، أبابيل ، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2021م.
3- آل حمدان, أحمد , الجساسة ، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ط2 ، 2023م.
4- آل حمدان, أحمد , جومانا، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2023م.
5- آل حمدان, أحمد , السجيل ، مركز الأدب العربي للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2024م.
6- دعوة الحق, مجلة ، مقال بعنوان الأدب والدين ، العدد (49) .
7- زيدان, جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، دار الهلال، ج3, د.ط ، 1958م.
8- السمالوطي, نبيل محمد توفيق, الدين والبناء الاجتماعي، دار الشرق للنشر والتوزيع, ج2، ط1، 1981م.
9- العكبري (ت 387), أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن حمدان بن بطة, الإبانة الكبرى، تح: عادل بن عبد الله آل حمدان ، دار المنهج الأول ، المجلد الثاني ، ط2 ، 1436 هـ .
10- الطائي, ويسر, مؤمن عمر, ود.ميثم محمد, الإصلاح الديني في فكر جمال الدين الأفغاني دراس. تحليلية, مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم والاجتماعية, جامعة واسط-كلية الآداب, المجلد ١٧, عدد ٢, ج1, 2025م. مؤمن عمر علي الطائي ا ., &هيثم محمد يسر أ. . (2025). الإصلاح الديني في فكر جمال الدين الأفغاني: دراسة تحليلية. *لارك*, *17*(2/Pt1), 911-894. https://doi.org/10.31185/lark.4204
11- كانط, إيمانويل, الدين في حدود مجرد العقل، تر: فتحي المسكيني، جداول للنشر والتوزيع، ط1، 2012م.
12- المجلسي, محمد باقر, بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، ج6، ط3 ، 1983 .
13- وهبه, المحرر وليم, دائرة المعارف الكتابية ، دار الثقافة ، مطبعة سيوبرس، ج4, ط3، 1992م.

## Research sources:

* alquran alkarim .

1- Al-Isfahani (d. 430 AH), Hilyat Al-Awliya' and Tabaqat Al-Asfiya', Al-Hafiz Abu Na'im Ahmad bin Abdullah, Dar Al-Fikr for Printing, Publishing and Distribution, Al-Khanji Library, Vol. 4, no date printed, 1996 AD.

2- Al Hamdan, Ahmed, Ababil, Arab Literature Center for Publishing and Distribution, 2nd ed., 2021.

3- Al Hamdan, Ahmed, Al Jassasah, Arabic Literature Center for Publishing and Distribution, 2nd ed., 2023 AD.

4- Al-Hamdan, Ahmed, Jumana, Arab Literature Center for Publishing and Distribution, 1st ed., 2023 AD.

5- Al Hamdan, Ahmed, Al-Sijil, Arab Literature Center for Publishing and Distribution, 1st ed., 2024 AD.

6- Da'wat al-Haqq, magazine, article entitled "Literature and Religion," issue (49).

7- Zaydan, Jurji, History of Islamic Civilization, Dar Al-Hilal, Vol. 3, no date, 1958 AD.

8- Al-Samaluti, Nabil Muhammad Tawfiq, Religion and Social Structure, Dar Al-Sharq for Publishing and Distribution, Vol. 2, 1st ed., 1981.

9- Al-Akbari (d. 387), Abu Abdullah Ubaid Allah bin Muhammad bin Hamdan bin Batta, The Great Explanation, ed. Adel bin Abdullah Al Hamdan, Dar Al-Manhaj Al-Awal, Volume Two, 2nd ed., 1436 AH.

10- Al-Taie, Yasser, Momen Omar, and Dr. Maitham Mohammed, Religious Reform in the Thought of Jamal al-Din al-Af'ani: An Analytical Study, Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences, University of Wasit - College of Arts, Volume 17, Issue 2, Part 1, 2025 AD.

11- Kant, Immanuel, Religion Within the Limits of Mere Reason, trans. Fathi Al-Maskini, Jadawel Publishing and Distribution, 1st ed., 2012.

12- Al-Majlisi, Muhammad Baqir, Bihar al-Anwar, the Comprehensive Pearls of the News of the Pure Imams, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut - Lebanon, Vol. 6, 3rd ed., 1983.

13- Wahba, Editor William, The Biblical Encyclopedia, Dar Al-Thaqafa, Ciopers Press, Vol. 4, 3rd ed., 1992.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية